# ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري وعلاجها في ضوء التشريع الإسلامي

د. أمينة الجابر

تمثل ظاهرة الطلاق في المجتمع القطرى الان خطرا بالغا على هذا المجتمع، فقد تراوحت نسبة الطلاق إلى الزواج في العقد الاخير ما بين ٢٤، ٣٣٪، وهى بلا ريب نسبة عالية في مجتمع مستقر اقتصاديا ومترابط أسريا.

فقد جاء في التقرير الإحصائى الذى أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر[1] عن عقود الزواج وواقعات الطلاق المسجلة بالمحاكم الشرعية في المدة من عام ١٤٠٤هـ إلى عام ١٤١٣هـ على النحو التالى:

| السنة | عقود الزواج | الطلاق | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|
| ١٤٠٤ هـ | ١١٤٥ | ٣٠٥ | ٢٧ |
| ١٤٠٥ هـ | ١٠٨٣ | ٢٩١ | ٢٦ |
| ١٤٠٦ هـ | ١١٣٩ | ٢٩٤ | ٢٥,٨ |
| ١٤٠٧ هـ | ١٢٢٥ | ٣٣٩ | ٢٧,٦ |
| ١٤٠٨ هـ | ١٣٤٠ | ٣٢٨ | ٢٥ |
| ١٤٠٩ هـ | ١٢٩٥ | ٤٠٥ | ٣١ |
| ١٤١٠ هـ | ١٣٦٩ | ٣٤٤ | ٢٥,٨ |
| ١٤١١ هـ | ١٢٥٥ | ٤١٥ | ٣٣,٨ |
| ١٤١٢ هـ | ١٥٥١ | ٣٧٧ | ٢٤ |
| ١٤١٣ هـ | ١٠٧٦ | ٣٤١ | ٣١,٦ |

* قسم الفقه والأصول كلية الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة قطر

١) انظر النشرة الاحصائية لسنة ١٤١١ هـ - ١٤١٢ هـ - ١٤١٣هـ وشباب اليوم القطرية عدد ٤ جمادي الأولى ١٤١٢هـ ص٤، وجريدة الشرق القطرية عدد الخميس ٧ رجب سنة ١٤١٣هـ.

ولا جدال في أن هذه الظاهرة تتمخض عنها مشكلات متنوعه تؤثر في حاضر هذا المجتمع ومستقبله، ولذلك كثر الحديث عنها في وسائل الاعلام المختلفة، وفي الدراسات والأبحاث الاجتماعية وغيرها للوقوف على أسبابها، ووضع الحلول العملية لها.

وهذه الدراسة التى أقامها عن تلك الظاهرة محاولة للتعرف على أسبابها على نحو مباشر، ومحاولة ايضا لتقديم ما أراه سبيلا للحد منها، وجعلها في نطاق الضرورة التى أباح الشرع عندها الفرقة بين الزوجين.

ويقوم منهج الدراسة على أربعة مباحث: يتحدث المبحث الأول منها عن بناء الأسرة القطرية والعوامل التى تؤثر فيها من حيث التكوين، وأما المبحث الثانى فيدرس اسباب الطلاق من واقع عرض بعض النماذج لحالات الفرقة بين الزوجين، ويأتي المبحث الثالث للكلام عن أثر الطلاق في المجتمع القطرى، ويخصص المبحث الرابع لتقديم علاج لتلك الظاهرة في ضوء التشريع الإسلامى واطمع أن تساهم هذه الدراسة في عمل ايجابي يحمى الأسرة القطرية من التمزق ويجعل من العلاقة الزوجية ميثاقا غليظا بين المرأة والرجل في ظل أسرة تحكمها المودة والرحمة.

## المبحث الأول
## بناء الأسرة القطرية

يتناول هذا المبحث الحديث في اجمال عن الاسرة القطرية من حيث خصائصها، ويمهد لهذا الحديث بكلمة عن العناصر التي تقوم عليها الاسرة بوجه عام، وهذه العناصر تعبر عن الروابط الاجتماعية بين أفراد الاسرة، وبينهم وبين المجتمع الذي يعيشون فيه، ومن ثم يتركب هذا المبحث من فرعين:

### الفرع الأول: البناء الاجتماعى للأسرة:

يهتم البناء الاجتماعى للأسرة بدراسة العلاقات بين أفراد الأسرة في أي مجتمع كان. وهو جزء من البناء الاجتماعى الذى يجمع عدة نظم اقتصادية وسياسية ودينية باعتباره مجموعة ثابتة من العلاقات النموذجية بين الوحدات، أو بمعنى آخر هو عبارة عن نسق من العلاقات النموذجية للأفراد وهم يقومون بأدوار يتصل بعضها ببعضها الآخر[1].

ومن هذا المنطلق فإن الأسرة تشير الى مجموعة من الإمكانات والأدوار المكتسبة عن طريق

(١) الالتقاء الحضارى وأثره في تغيير البناء الاجتماعى للأسرة في قطر، د. جهينة عيسىٰ، ص٩٣، رسالة ماجستير.

الزواج والولادة[1]، وتعدّ من أهم الجماعات الإنسانية لأن الانسان بفضل حياته فيها يكتسب أهم الخبرات التى تجعل منه كائنا اجتماعيا. وتقوم الأسرة على عناصر بيولوجية ونفسية وثقافية، والملاحظ أن تكوينها وبناءها وأبعادها وظروف معيشتها واحتياجاتها والعلاقات القائمة بين أفرادها ووظائفها تتنوع عبر الزمان والمكان، كما أنها مرتبطة في ذلك بأنظمة المجتمعات وبأشكال الحضارة[2]. وأهم ما يميزها أنها تربط الفرد بالمجتمع ولا يمكن لأى مجتمع أن يدوم إلا إذا اشبعت جميع حاجات أفراده، فهم من خلال احترامهم لحقوق وواجبات الآخرين يحافظون على النظام في المجتمع، والأسرة من خلال إحاطتها الفرد في حياته الاجتماعية تستطيع ان تكون مجموعة القوى الضابطة، وبالتالى يستطيع المجتمع أن يحصل على إسهامات الفرد فيه[3]. ـ

**العلاقة الأسرية وأثرها في بناء المجتمع :**

بما أن الزوج والزوجة هما أساس تكوين الأسرة، وهما النواة الحقيقية لوجودها، فلا بد أن نحدد الدور الوظيفى للزوجين والذى يعبر عنه بمجموعة الحقوق والواجبات التى تربط بينهما، ومدى نجاح العلاقة الاسرية في حفظ التوازن الأسرى وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله عز وجل: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)[4]. هذا التوازن يقوم على أساس أن لكل منهما أدواراً محددةً ومخصصة حتى يستطيعا ان يصلا بالأسرة إلى بر الأمان في تحقيق أهداف المجتمع. . وعندما نميز الأدوار الوظيفية في نسق الأسرة نستطيع أن نرى مدى السلطة فيها بخصوص اتخاذ القرارات والتعاون وتقسيم العمل حسب مكانة الرجل والمرأة اجتماعيا.

وقد وضع علماء الاجتماع أسسا معينة لتحديد الدور الوظيفى للرجال والنساء باعتبارهما من جنسين مختلفين تماما. . هذه الأسس هى[5]:

أ ـ الأساس البيولوجي

ب ـ الأساس النفسي

جـ ـ الأساس الاجتماعى الثقافي

**أ ـ الأساس البيولوجي :**

---

(١) مبادىء علم الاجتماع، د. محمد الجوهرى وآخرون، ص٢٣٩.

(٢) الأسرة بين علم الاجتماع والانثربولوجيا، د. محمد الجوهري، د. عليا شكرى، ص٥٥.

(٣) الالتقاء الحضاري، د. جهينة، ص٩٦، ٩٧ رسالة ماجستير سنة ١٩٧٥ مكتبة جامعة قطر أيضا راجع في هذا المجتمع من الغوص والتحضر للباحثة كلثم على الغانم ص٩٢، الناشر مؤسسة النور للدعاية والاعلان والنشر سنة ١٩٨٩، مطابع الباكر ـ الدوحة قطر.

(٤) سورة البقرة/ ٢٢٨

(٥) الالتقاء الحضارى، د. جهينه، ١٠٥ وما بعدها.

وجد بعض العلماء أن هناك فروقا بينهما في القوة العضلية والتكوين الجسماني والنمو، وكذلك في نسبة عدد المواليد، وفي نسبة الوفيات، وفي أنواع الأمراض التى تصيب كل جنس في معدلات العمر أيضا، وهذه الفروق أثرت في أوجه الأنشطة التى يمارسها كل جنس في ميوله واتجاهاته.

**ب ـ الأساس النفسي:**

الملاحظ في كل مجتمع أن هناك ميلا لتمييز كل جنس إما بالتفوق أو الضعف، وقد قامت هذه التفرقة على اساس الفروق النفسية بين الجنسين، ففي اختبارات القدرات وجد أن الذكور يحصلون على درجات عالية في اجزاء الاختبارات المتعلقة بالقدرة الميكانيكية والحسابية وفهم المعاني المجردة، أما الفتيات فيتفوقن في اجراء اختبارات الذكاء المتعلقة بالذاكرة والمهارات اللغوية.

ويعنى ذلك أن كل جنس يفكر بطريقة معينة تختلف عن طريقة الجنس الآخر، كما أن هذه الدراسات أثبتت أن الذكور يختلفون عن الإناث من نواح عديدة، فيتميز الذكور بالتالى بالطموح والميل إلى السيطرة، أما الإناث فيتميزن بالطموح المنخفض والميل إلى الاستسلام، وهذا يؤثر في اهتمامات أفراد كل جنس واتجاهاته ومناشطة الاجتماعية وادواره المختلفة، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم**﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض**﴾[2].

وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال: (كل امرىء مهيأ لما خلق له)[3].

**جـ ـ الأساس الاجتماعي الثقافي:**

وقد دلت معظم دراسات الاجتماع والانثربولوجيا على أن النمط الثقافي وهو الذي يحدد الأدوار وأن هناك طبيعة خاصة للمرأة تختلف عن طبيعة الرجل من حيث السلوك الاجتماعى الذي هو التنشئة الاجتماعية. وقد أكدت الدراسات[4] عن الشخصية في ثقافات مختلفة أن الثقافة هى التى تحدد الفروق في أدوار الذكر والأنثى فالمجتمع هو الذي يشكل سمات الجنسين المختلفة في الأفراد. كما أكدت بعض الدراسات أن السلوك الإنساني في أي ثقافة من الثقافات

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٢.

(٣) رواه الامام أحمد، في مسنده الجزء السادس ص٤٤١ من حديث أبى الدرداء.

(٤) راجع سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، د. ماهر محمود عمر، ص٩٧ وما بعدها.

يمكن فهمه في ضوء القيم والمثل والاتجاهات العامة التى تسود هذه الثقافة بالذات.

ونستنتج من ذلك أن السلوك الإنساني ليس فطريا وإنما هو وليد ثقافة المجتمع الذي يشكل الفرد وبطبعه بطابع ذي خصائص معينة، لذا نلاحظ أن نظريات التنشئة الاجتماعية لم تغفل دور الثقافة في تدعيم الأنماط السلوكية للأدوار التي يمارسها الأفراد وكل حسب جنسه ذكرا كان أو أنثى، غير أن درجة تركيزها عليها تتفاوت حسب فلسفة كل نظرية ورؤيتها الذاتية لمفهوم التنشئة الاجتماعية.

فالتنشئة الاجتماعية هى التي تحدد هذه الأدوار وليست الطبيعة البيولوجية، وهذا مصداق قول الرسول (ﷺ): «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1].

هذه هى الأسس التى تحدد الدور الوظيفي للزوجين في الأسرة حسب رأى علماء الاختصاص في هذا المجال.

وقد ذكرت د. جهينه[2] بالنسبة لدور الأفراد في المجتمع القطرى بعدين رئيسين، هما:

- البعد الأول: السلطة وتبدو في اتخاذ القرارات.
- البعد الثاني: تقسيم العمل وينحصر في تنوع الأنشطة.

وإذا قلنا إن دور الأفراد لا يخرج عن هذين البعدين. وهما يشكلان علاقة الأسرة بعضها ببعض. فهى من باب أولى تشكل العلاقة بين الزوجين في المجتمع القطري، أو بمعنى آخر الحقوق والواجبات بين الزوجين.

**البعد الأول: السلطة:**

وهي عبارة عن قوة أحد الزوجين في التأثير على سلوك الآخر، وتبدو بوضوح في مقدرة احدهما على اتخاذ القرارات التى تؤثر في حياة الأسرة وتتحدد بوساطه المجتمع.

فمثلا: المجتمع القطري حين كان مجتمعا رعويا يعتمد على الغوص وصيد اللؤلؤ، كان الرجل هو مصدر الرزق، وعليه تعتمد معيشة الأسرة، مما جعل المجتمع يمنحه حق السلطة المطلقة.

أما في المجتمع الحديث فقد تغيرت النظرة، فنزول المرأة للعمل بشكل رسمى خلق نوعا من التكافؤ في السلطة وبالتالي أصبح للمرأة دور وحق في اتخاذ القرارات في الأسرة.

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى في كتاب التفسير «سورة الروم» جـ٦ ص٢٠ المجلد الثاني من الكتب الستة وأخرجه مسلم في باب «معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين» رقم ٢٢ «٢٦٥٨» ٢٣/ ٢٤ الكتب الستة مجلد جـ٣ (٢٠٤٧).

(٢) الالتقاء الحضارى، ص١٠٧ وما بعدها.

**البعد الثاني: تقسيم العمل:**

في جميع المجتمعات يوجد نوع من تقسيم العمل على أساس النوع والسن، وهذا يؤدى إلى تنوع المراكز واختلاف الأدوار، فهناك ادوار خاصة بالرجال تتطلب قوة عضلية، وهناك أعمال خاصة بالنساء، كالأعمال اليدوية والحياكة والتطريز. . . إلخ.

ونتيجة للنهضة الصناعية الحديثة والتطور الاقتصادى قامت المرأه بأقتحام سوق العمل، وبذلك أضافت الى دورها كأم، دورها كعاملة وموظفة. . . وبالتالي أثر ذلك على البناء الأسري في المجتمع القطري، فارتفاع دخل الأسرة عن طريق عمل الزوجين أدى إلى حدوث نوع جديد من الحياة ومن الالتزامات المترتبة على علاقات العمل والجوار، كما أن إقبال المرأة على التعلم أدى إلى التعاون بين الزوجين أنجاز أمور المنزل ورعاية تنشئة الأطفال وكذلك الاستقرار الاقتصادي.

**الفرع الثاني: بناء الأسرة القطرية:**

سبق أن ذكرنا أن الأسرة تعدّ أهم الوحدات الاجتماعية التي تدور في إطارها حياة الفرد، فالعائلة قديما كانت لها أهمية كبيرة إذ تقوم بأداء جميع الوظائف الاجتماعية والدينية والاقتصادية بالإضافة إلى أنها تكون مسؤولة عن عملية التنشئة الاجتماعية ولها بالتالى سلطة كبيرة على الأفراد، ومازالت الأسرة تقوم بوظائف جوهرية، ولكن أغلبها وظائف دينية واجتماعية[1].

والأسرة القطرية الحالية تتجة إلى أن تصبح نووية تتكون من الأم والأب وأطفالها الذين يقيمون في مسكن واحد بعد أن كانت ممتدة، لكن هذه الأسرة النووية لا تزال على علاقة وطيدة بالعائلة الممتدة، وعلاقة هذه العائلة بالقبيلة التى تجمعها بها قرابة ونسب خاصة وإنه مجتمع كان إلى وقت قريب مجتمعاً قبليًّا.

«إن الأسرة في المجتمع القطرى أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن وينظم القانون الوسائل الكفيلة بحمايتها من كل عوامل الضعف وتدعيم كيانها وتقوية أواصرها والحفاظ على الأم والطفولة في ظلها، كما أن الدولة تعمل على تأصيل المبادىء الدينية الإسلامية القومية في المجتمع، وعلى تطيره من كافة صور الانحلال الخلقي وترعى الدولة النشأ وتصونه من أسباب الفساد وتحميه من الاستغلال وتقيه شر الإهمال الجسماني والروحى[2]».

وبما أن المجتمع القطري مسلم بالدرجة الأولى نجد أن المولود ينسب إلى أبيه (ادعوهم لابائهم هو أقسط عند الله) وتنتقل الزوجة الى مقر أسرة الزوج. ولكنها تحتفظ بنسبها وقبيلتها ولا تحمل لقب عائلة زوجها، كما هو المعروف عن بعض المجتمعات الإسلامية المتأثرة بالحياة الغربية، ولكن الأبناء فقط هم التابعون لعائلة الأب وليس الأم، ونطاق القرابة في الأسرة القطرية

(١) الأسرة بين علم الاجتماع والأنثربولوجيا. د. محمد الجوهري ص٧٨ راجع أيضا الزواج من أجنبيات وأثره على أبناء الخليج العربي د. يوسف عبدالفتاح ص٤٩.

(٢) راجع النظام الأساسي المؤقت المعدل للحكم في دولة قطر، الصادر في ١٩/ ٤/ ١٩٧٢م. الباب الثاني، المادة السابعة.

الممتدة يشمل جميع الأجداد والجدات والأعمام والعمات والأحفاد، وتتفاوت الأسر من حي الحجم إلى عدد الأبناء وتعدد الزوجات وزيادة الدخل . . . إلخ .

أما بالنسبة للعلاقة بين الزوج والزوجة في المجتمع القطرى[١] فتحدد على أساس معين، فشخصية الرجل تتخذ طابع التسلط أو الشخصية القوية، أما الزوجة فعليها أن تخدم زوجها وتطيعه وتحترمه وتقبل جميع مظاهر سلوكه نحوها[٢] .

دون مناقشة أو اعتراض، كما انه لا يحق أن تظهر نفوذها أو نفوذ والدتها على زوجها وخاصة أمام الآخرين، إلا أنه لوالدة الزوج (الخالة) نفوذ وسلطة على زوجة ابنها[٣] .

«الكنة» التى تسبب مشاكل عائلية، ولكن يحق للزوجة الشكوى لزوجها من خالتها التي هي والدته والتبرم من سلوكها وهو يستمع إليها، إلا أنه لا يتخذ أى اجراء ضد والدته[٤] لأنها ذات سلطة في العائلة .

أما الزوجة (الأم) فعلاقاتها مع زوجات أبنائها واحدة، وإن فضلت واحدة على الأخريات فذلك لا يكون اساسا للخلافات أو التفرقة داخل نطاق العائلة .

أما أزواج البنات إذا لم يكن أحد منهم من أفراد العائلة فإنه يعتبر كأحد الأبناء وقد يسكن معهم في البيت الكبير، إلا أنه غالبا ما تنتقل الزوجة لتسكن معه في بيت عائلته .

أما الأولاد فيربون على طاعة واحترام الوالدين، كما يلقن الآباء أبناءهم مبادىء الدين، وينشأ الأولاد في بيئة دينية[٥] ملتزمة بالشريعة الإسلامية لذلك تكون للقيم الدينية أهمية كبرى في المجتمع القطرى ويختلف موقف الآباء من الابناء باختلاف مراحل العمر بالإضافة إلى الجنس . .

ففي مراحل النمو الأولى تكون الأم مسؤولة عن تربية الأولاد وتنشئتهم، إلا أنه في كثير من

---

(١) الالتقاء الحضارى . د. جهينة، ص٢١٩، التحضر في المجتمع القطرى . د. محمد غنيم، ص١١٦ .

(٢) للأسف حتى وإن كان سلوكا منحرفا يخالف الدين ويوجب الحد بحجة أنه رجل والرجل لا يحاسب وهو حر يفعل ما يريد ويباح له ما يحب، وأرى أن المجتمع القطري تحكمه العادات والتقاليد الموروثة نتيجة سيطرة الرجل أكثر من خضوعه لأوامر الدين حتى وإن كانت هذه العادات وتلك التقاليد مخالفة للدين الإسلامى بل هي من موروثات الجاهلية والقبلية .

(٣) وهذه أحد الأسباب الأساسية لوقوع الطلاق بين الزوجين خاصة إذا كانت والدة الزوج ذات سلطة نافذة وشخصية قوية على أفراد الأسرة او كانت الزوجة مازالت صغيرة وغير متعلمة تعيش معها في منزل واحد . ولكن نتيجة لتعلم المرأة وخروجها للعمل واستقلالها مع زوجها وأبنائها في منزل خاص بها، وعدم تدخل والده الزوج في كيفية تربية الأبناء قلل من هذه المشاكل واغلب الظن في تفسيرى لظاهرة ممارسة السلطة على زوجة الابن أن الأم تشعر أن امرأة أخرى قد أخذت ابنها منها مما يسبب لها ضيقا وألما نفسيا فينبعث منها هذا السلوك ترجمة لهذا الاحساس، ولكنها لو أشعرت الزوجة انها كابنتها وعاملتها بلطف لأضفت على حياة ابنها سعادة وطمأنينة ـ وهذا ما تحبه وتوده دائما .

(٤) لأن طاعة الأم واجبة شرعا وعرفا، وقد نهى الشرع عن ايذاء الوالدين في قوله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ . . ولكن للأسف كثيرا ما نرى في حاضرنا الشكوى المريرة من عقوق الأبناء وخاصة الأمهات بل كثيرا منهم يعتدي على والدته بالضرب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(٥) بالرغم من أن المجتمع يصطبغ بالصبغة الدينية إلا أنه كثيرا ما يخضع للعادات والتقاليد أكثر من خضوعه لأوامر الدين ونواهيه .

الأحيان يعهد بالأطفال إلى المربيات اللاتي يكن من الأجنبيات[1] ويسميهم الأطفال بالأمهات لما لهن من قيمة وأهمية، وكلما تقدم الأولاد في السن تظهر علاقتهم بوالدهم، فالأبناء يجلسون مع والدهم في المجلس ويذهبون معه في رحلاته، أما الفتيات فيجلسن مع والدتهن ولكن لا يجلسن مع السيدات (الزائرات) ولا يخرجن إلا بصحبة إحدى السيدات الكبيرات.

وبما أن بناء الأسرة القطرية يتم عن طريق الزواج الشرعي فغالبا ما يكون مبالغا في اقامته ويسيطر عليه حب المفاخرة والمباهاه والتقليد الأعمى للآخرين في المغالاة بالمهور، وحب المظاهر، حتى انها لتصل عند العائلات العادية «٥٠,٠٠٠»ـ«١٠٠,٠٠٠». فما بالك بالأسر الغنية والثرية[2].

ومن أهداف بناء الأسرة القطرية هو الاستقرار النفسي والعاطفي لكل من الفتى والفتاة وإضافة لبنة جديدة إلى لبنات المجتمع وزيادة الثروة البشرية[3] في المجتمع بزيادة النسل وهو بهذا لا يختلف عن هدف أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية من حيث الرغبة في زيادة النسل ولكن هذه الأسرة لا تختلف عن الأسرة في أي مجتمع مسلم آخر فيما عدا ذلك.

## المبحث الثاني
## أسباب الطلاق في المجتمع القطري

لكل ظاهرة تجدّ في مجتمع ما أسباب أدت إليها، والطلاق في المجتمع القطري ظاهرة ملموسة ذات أبعاد خطيرة، لأنها نسبيا ـ كما أسلفت ـ أكثر انتشارا، وإن كان هذا المجتمع يتمتع بالاستقرار الاقتصادي والحياة الآمنة مما يساعد على استقرار الحياة الزوجية وقلة الطلاق بين الأزواج، ولكن الواقع على العكس من ذلك، وهذا يعنى أن هناك أسباب متنوعة لكثرة الطلاق، ومعرفة هذه الأسباب ـ فيما أرى ـ تكمن في الوقوف على الظروف والملابسات التي انتهت بالزوجين إلى الافتراق، ولذلك قمت بعدة لقاءات مع بعض المطلقات واستمعت إلى الدوافع التى كانت سببا في أن تطلب المرأة مفارقة زوجها، وأذكر فيما يلى نماذج من تلك

(١) إن جلب الخادمات والمربيات خاصة من جنسيات غريبة عن مجتمعنا دينا ولسانا وخلقا يشكل خطرا على أجيالنا المقبلة إن لم نتدارك الأمر.

(٢) راجع التاريخ الاجتماعى للمرأة القطرية المعاصرة د. عادل غنيم وآخرون ـ طبعة المطابع الأهلية سنة ١٩٨٩ الناشر ـ مركز الوثائق والدراسات الانسانية ـ جامعة قطر.

(٣) وهو هدف إسلامي مستمد من قوله (ﷺ): «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة» رواه عبدالرزاق في الجامع عن سعيد بن أبى هلال مرسلا.

وخصوصا وأننا مجتمع يعاني من قلة عدد السكان فحبذا لو قامت الجهات المسؤولة بتشجيع الأسر ماديا ومعنويا على الإنجاب والاهتمام بتكثير النسل والحث عليه بإعطاء المرأة العاملة فترة أمومة طويلة لحضانة الطفل وصيانته من الاهمال والانحراف. راجع التاريخ الاجتماعى المرأة القطرية المعاصرة ص١٨٨ ـ ١٩٠ د. عادل غنيم وآخرون.

الاعرافات، أتبعها ببعض النماذج من آراء الأزواج، وما حملهم على التطليق، ثم استخلص من كل ذلك أهم الأسباب التى تجعل ظاهرة الطلاق منتشرة في المجتمع القطرى.

**وهذه نماذج من اعترافات الزوجات:**

١ ــ تزوجت برغبتي وأنا في السابعة عشرة من عمري... كنت أحب أن يكون لي زوج وأولاد، فكان ذلك محل فخري واعتزازي، ومن أجل ذلك تغاضيت عن حقوق كثيرة فصبرت على العيش معه في غرفة واحدة متواضعة في بيت أهله، انجبت ولدا وبنتا.. سبب طلاقي **أولا** والدته. فقد كانت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة، كان حبها لولدها فظيعا لدرجة أنها تغار عليه من زوجته، ولابد أن تعلم بكل صغيرة وكبيرة في حياتنا.. كان يطيعها طاعة عمياء ويتعمد اذلالى أمام أهله.. حتى في زيارتى لأهلى لابد من موافقتها.. كنت اتمنى أن تكون قراراته صادرة من نفسه لكن للأسف كانت حياتي بيد أمه لا بيده.. كان فاقد الشخصية أمامها تماما..

**ثانيا**، للأسف كان شديد السكر والشرب له جلساته الخاصة مع أصدقائه، وكان يعود إلى وهو في حالة سكر شديد، ويقوم بضربى وركلي حتى إن آثار الضرب تبقى بادية على وجهي وجسدى أياما حتى إنى أخجل أن يرانى أهله بهذه الصورة.. ولم أحاول أن أشتكى لأهلى بل تحملت وصبرت من أجل اصلاحه ومن أجل أطفالي.. مع علمي التام بجلساته المحرمة مع النساء.. وتحملت عصبيته وقسوته وشتمه لي ولأهلي من أجل المحافظة على بيتي وزوجي حتى في أسفارنا لم يترك جلساته وخموره ونساءه... ويتركنا بأنفسنا في الفندق.. لم استطع التحمل فطلبت الطلاق بعد زواج دام ثلاث سنوات ونيف وتنازلت له عن جميع حقوقي من أجل الحصول على حريتي والاحتفاظ بأولادي.

٢ ـ تزوجته في السبعينات على الرغم منى، ودون موافقتى، كنت حينذاك في الرابعة عشرة من عمري.. دام زواجى ٦ أشهر فقط لم استطع تحمل الحياة معه لسببين رئيسيين:

ـ اشتغاله الدائم عنى وعدم اهتمامه بي بوصفى زوجته فهو له حياته الخاصة من شرب وسكر ونساء..

ـ سيطرت أمه عليه وعلي فهو يطيعها طاعة عمياء وهي دائما معي في نفور وشقاق..

لم أستطيع البقاء معه لسلوكه الشائن وسيطرة أمه وتفكك أسرته، طلبت الطلاق وأنا حامل، تنازلت عن حقوقي من أجل الاحتفاظ بابنتي التى لم يشعر تجاهها بأبوته ولم يسأل عنها

قط حتى بعد أن كبرت وأصبحت من طالبات الجامعة . . ماذا انتظر من رجل فقد شخصيته وعقله وكرامته . . الطلاق أرحم . .

٣ ــ زوجي مدمن خمور ومخدرات، (جميع الأنواع)، ادمانه جعله لا يطيق حتى رؤية أطفاله . يخرج صباحا ولا يعود إلا في ساعات متأخرة من الليل . كل ما حرم الله يستعمله من مسكرات ونساء . يرفض النصح والإرشاد والعلاج . كل همه الخمور والمخدرات والنساء . كان سيء العشرة حتى إنه يمنعني من الذهاب إلى أهلي . طلبت الطلاق من أجل أطفالي كان لايعلم عنهم شيئا . حاول أهله إصلاحه ففشلوا . حملت أولادي إلى بيت أهلي وطلبت الطلاق بعد زواج استمر أربع سنوات . فقد كان شخصا لا يطاق يخشاه أطفاله ويخافونه حتى إن أمه تخبرهم دائما بأنه مسافر لأنها قد طردته من حياتها .

٤ ـ كان زواجي غريبا وطلاقي أغرب . فقد تحكمت العادات في حياتنا كان زواجي بنظام البدل . تزوجته مقابل زواج أخته من والدي الذي يكبرها بسنوات عديدة . ولكن من أجل ماله ومكانته زوجوها به، وزوجوني بأخيها قبل عشرين سنة . لا أعيب عليه شيئا إلا أنه كان فاقد الشخصية يسيره اهله كيفما شاءوا . بدأت المشاكل بين أبي وزوجته لأسباب كثيرة منها ادمان والدي على المخدرات وصغر سن زوجته حتى وصلت الى الطلاق . ومادام أبي قد طلق زوجته فلا بد أن أطلق من أخيها فهذا هو الشرط، وهذا هو حكم التقاليد والعادات، فأنا البدل ويجب أن تتساوى في النفقة والعطاء والطلاق، فطلقت منه دون أن يحتج أو يعترض بل طلق وهو ساكت . . فهو كالعبد المطيع يسيره أهله كيفا شاءوا . كان سلبيا لدرجة مخيفة حتى إنه لا يعرف عن أطفاله شيئا ولا يسأل عنهم كأنه غير موجود . . احتفظت بأولادي وامتنعت عن الزواج بغيره من أجلهم ووقفت على رجلي أتعلم وأعمل حتى لا يحتاج أولادى لاحد .

٥ ـ وزوجة أخرى تقول : تزوجنا منذ أكثر من عشرين عاما كان فيها نعم الزوج الصالح الملتزم بعمله ومسؤولياته وأسرته وأولاده ، استمرت حياتنا كأحسن ما يكون من طمأنينة وسعادة تتخللها بعض المشاحنات الواقعية التى لا تلبث أن تزول . . ثم لاحظت عليه تغيرا في السنوات الأخيرة، لم يعد ذلك الزوج الحنون الذي أعرفه، اكتشفت بعدها أنه على علاقة بامرأة أخرى، ثم كثرت أسفاره بحجج واهية، حاولت إصلاحه ونصحه ومعرفة سبب تغيره المفاجيء فلم أفلح . . كان يرفض الاجابة ويجيبني بأنها حياتي الخاصة وأنا حر بها . وعندما أحاول مناقشته يصدني بقسوة وعنف فقد لغة الحوار ولجأ إلى لغة الضرب لإسكاتي أهملني وأهمل أولادى حتى إنه لم يعد ينفق علينا وساء خلقه فلم استطع تحمل اهاناته، الضغط على أعصابى أكثر من ذلك

فطلبت الطلاق وذهبت بأولادي إلى بيت أهلي . .

٦ ـ زوجتي تقول [1]: (اين كرامتي وعزة نفسي؟)، (لم يكن يشعر بأن له زوجه). تزوجنا زواجا عاديا عن طريق الأهل، وبدأ إنسانا خلوقا متفهما واعيا لكنه سرعان ما نسى وجودي أو لم يعد يهتم به . . لم يغير شيئا في حياته عما كان عليه قبل الزواج، طالبته بذلك، قال: هل ينقصك شيء؟ قلت نعم، وجودك في البيت، الأولاد لا يرونك، إنهم بحاجة إلي، وأنا أليس من حقي عليك أن تكون معي؟؟ قال: لا أستطيع أن أترك «ربعي»، قلت: اعتبرنا مثل ربعك قسم وقتك بيننا وبينهم، وتكرر النقاش حول هذا الموضوع، وحاولت معه بشتى الطرق، ولكنه مصر على نسياننا وتمسكه بربعه والسهر والرحلات حتى يوم الجمعة لاحق لنا فيه، كان دائما يقول: هذه حياتي وهكذا أعيشها، فإن رضيت فأهلا وسهلا، وإلا فبيت أهلك بانتظارك، شعرت أنني جارية في المنزل، ولست زوجة، شعرت أنني سأبقى مجرد اثنى لخدمته ومتعته، وأنني بلا كرامة فطلبت الطلاق.

٧ ـ وأخرى قصتها مشابهة فتقول: «زوجي ميسور الحال، لكنه لعوب، وعلى الرغم من أن أولاده وبناته أصبحوا في سن المراهقة فإنه لم يتخل عن عاداته، يغمرنا بالمال ويرحل، بحجة العمل، أصبح يمضي أكثر من نصف أيامه في بانكوك والقاهرة ولندن وغيرها، فإذا جاء إلى بلده فإن له سهراته ومشاويره وجلساته الخاصة وكلها بحجة العمل، وأعرف أنه يبحث عن المتعة الحرام، وقد بلغني الكثير عن تصرفاته، حاولت معه كثيرا ليغير من سلوكه لكنني كنت كمن ينفخ في قربه مقطوعة فآثرت الانفصال.

٨ ـ وتروى زوجة قصة طلاقها قائلة: «اعرف أن الغيرة سواء كانت من الزوج أو من الزوجة مستحبة، لأنها تعدّ دليل حب، أما أن تصبح مرضا وهاجسا يأكل قلب زوجي ويؤرقه فهذا ما لم أعد احتمله، لقد أصبحت غيرته تصل إلى حدود الشك، لا يحتمل أن يراني أتحدث مع أي رجل حتى لو كان من أقرب أقربائي؟ أنا امرأة عاملة وبموافقة زوجي، محجبة ولا أتزين عندما أخرج للعمل، وعملي يجمعني بالناس، كنت أفاجأ بزيارته لي في مقر عملي، لم أستغرب في البداية، لكنني بعد ذلك عرفت سبب زياراته المفاجئة إنها الغيرة القاتلة التى تحولت إلى شك ووسواس، حاولت أن أفهمه أنني أحبه وأنني مخلصة له، لكنه كان يشك بكل حركة بكل لفته، بكل نظرة، عندما نكون مع الناس أشعر بنظراته تحاصرني وأخاف أن أتحدث أو أضحك أو ألتفت أو أجلس بارتياح، لأنه سيمطرني بعشرات الاسئلة والاتهامات، إذا اتصل وكان التليفون

(١) هذه الحالات أوردتها جريدة الشرق في تحقيق لها عدد الخميس ٧ رجب ١٤١٣هـ.

مشغولا تراه يترك عمله ويأتيني كالمجنون يريد أن يعرف مع من أتكلم، أصبحت في حجيم لم أعد أتحمل، ذهبت لأهلي وطلبت الطلاق . .

٩ ـ هل كان يجب أن أنتظر حتى يقتلني؟ كان الزوج المحب المخلص . . لكنه لا يعرف غير العنف لغة للحوار، كان يغضب لأي سبب ولأتفه سبب، وكان كالبحر لا يعرف أحد متى يثور، وكالبركان لا يعرف أحد متى ينفجر، فكان يكسر كل شيء، ويقلب كل شيء رأسا على عقب، فإذا عارضته انهال علي ضربا وركلا وكأنه يريد أن يقتلني، صحيح أنه كان يعتذر بعدها، ويعد بألا يكرر ما حدث ويطلب منى ألا أخبر أهلى بما يحدث وفعلت كثيرا، وصبرت طويلا، لكنه سرعان ما ينسى وعودة ويعود إلى تصرفاته العنيفة، أصبحت أهرب لبيت الجيران عندما يثور ولكننى لم أعد أطيق صبرا، طلبت الطلاق باصرار.

١٠ ـ عشنا معا سنوات كان فيها نعم الزوج ثم بدأ يتغير، وبدأ يبخل ويرفض إعطائي المصروفات اللازمة، واكتشفت ان عليه كمبيالات للبنك، وأن راتبه يتبخر منذ بداية الشهر، وأنه يستدين واستغربت الى ان علمت انه ابتلى بالقمار، بدأ يبيع ما يملك، وكثرت الديون، طالبني بأن أعطيه مجوهراتي التي اشتراها لي في بداية زواجنا لكنني رفضت، ضربني، غافلني وأخذ منها، وتكرر هذا منه حاولت ردعه، لكنه كان قد قطع شوطا مع رفاق السوء في هذه الآفة اللعينة، ولم أستطع تغييره الى ان اخذ يمد يده إلى أغراض البيت فأدركت أنه لا أمل في إصلاحه، وأنه من الممكن أن يبيع أي شيء، يمكن أن يبيعني أو يبيع أحد أطفاله، إذا استطاع، أصبح كالتائه لا يفكر بما يفعل أخذت أولادي وذهبت إلى منزل أهلي وطلبت الطلاق.

١١ ـ سمعت كلام صديقاتي . . وطلقت . . فتزوجته إحداهن: «أما هذه الأخت فتروي قصتها وتقول: «كان زوجا عطوفا محبا كريم النفس سخيا بالمال، لكنه كان أكبر مني بأكثر من خمس وعشرين سنة، وكان هذا يؤثر على اهتماماتنا وآرائنا ونظرتنا إلى كثير من الأمور، لكن هذا لم يصل إلى حد الخلاف ولم أكن أهتم بهذا الفارق لا سيما أنني تزوجت صغيرة وتعودت على عشرته لكن كثيرا من صديقاتي وقريباتي أخذن بتضخيم المشكلة التي لم أكن أعيشها، وصرت أنظر إلى الفارق بيني وبين زوجي حتى صار سدا يحجبني، عنه وبدت لي المشكلة صعبة جدا وأصغيت لكلام القريبات والصديقات «أنت صبية وهو عجوز. . خذي منه كذا. . قولي له أن يأخذك إلى . . إنك تدفنين نفسك في الحياة . . إنه لا يستحقك . . أنت تستحقين شابا من جيل أولاده . . يجب أن تؤمني مستقبلك، إلى آخر ما هنالك من الدسائس النسائية التى لم أكن أعرف نتائجها، كثرت طلباتي، ولم أعد أحتمل أى ملاحظة، منه وصرت عصبية حتى صرت

أعيره واتباهي عليه بشبابي وأعصي أوامره فإن اعترض أو احتج كان جوابي: «إن لم يعجبك الحال طلقني» ويسكت مرة وأخرى، ثم نفذ لي رغبتي وطلقني وسرعان ما علمت أنه تزوج إحدى قريباتي وأكثرهن تحريضا لي!!

١٢ — لم أكن أطلب المستحيل، كان كل ما أريد أن يكون زوجي لي ولأولادي فقط، وأن أكون زوجة له فقط، لا زوجة أسرة كاملة، عندما تزوجنا سكنا مع أهله في بيت واحد واسع، ولكن كان كل فرد من أفراد الأسرة يتدخل في كل كبيرة وصغيرة بيني وبينه، حاولت أن أعدّ هم أهلي وأن أصبر حتى لا أندم، وأصبحت أما لولدين وأنا أعاني من تصرفاتهم، طالبت أن نستقل بسكن خاص لنا، عارض في البداية، فذهبت لبيت أهلي، ثم صالحني ووافق على طلبي وأخذ لي بيتا، وظننت أن مشاكلنا انتهت، ولكنها ازدادت، أصبح يمضي وقتا طويلا كل يوم في بيت أهله، في حين يتضايق من زيارتي لأهلي، وزيارتهم لي، وعندما يعود أعرف من تصرفاته أنهم ملأوا رأسه بأفكار تسبب المشاكل المستمرة بيني وبينه، وسمعت أنهم يريدون أن يزوجوه أخرى، وكان هذا فوق ما أطيق، تركت بيتي وذهبت لأهلي وطلبت الطلاق..

١٣ — وتقول زوجة: إنه قريبي، نشأنا معا، وكنا تماما كالأخوين، ولكن رغبة الأهل كانت فوق كل اعتبار، قلت لهم كثيرا إنه مجرد أخ لي ولا أشعر تجاهه بأكثر من عاطفة الأخوة، ولكنهم عدّوا هذا تمردا وأن رأيي لا يجب أن يؤخذ به، أصروا على زواجي به لمجرد أنه قريبي وهو أولى بي من الغريب، مضى على زواجنا ستة أعوام لم أشعر يوما أنني أحببته بوصفه زوجا، ولم أشعر أن شيئا ما تغير في حياتي بل زادت المشكلة أنني أصبحت أما، هو يعلم تماما أنني لا أحبه زوجا، وهو كذلك، طلبت الطلاق، أهلي عارضوا بشدة، عدّونى فاجرة، حاولوا قتلي، ولكن إلى متى أكذب على زوجي وعلى نفسي، لقد اقتنع أخيرا بأن زواجنا كان خطأ منذ البداية وأنه مجرد تحقيق لرغبة الأهل فطلقني.

**تلك نماذج من حالات سعي المرأة للطلاق لأنها لا تستطيع الحياة مع زوجها.... وهناك نماذج تتعلق بالرجل [1] وضيقه من زوجته وسعيه للتخلص منها، لأنها لم تقم بواجبها بوصفها زوجه.**

١ — قال أحدهم: تزوجتها بعد وفاة زوجتي الأولى التي تركت لي إبنا وبنتا وكان شرطي الأول أن تعتني بالولدين وتحسن معاملتهما، وأكدت لي أنها ستكون أما لهما تنسيهما أمهما الراحلة، لكن ما حدث لا سيما بعد أن تمكنت وأنجبت ولدا كان عكس ذلك، بدأت ألاحظ الانكسار في عيني ولدي، سألتهما لم يقولا شيئا في البداية ثم تشجعا وقالا إن زوجة أبيهما

(١) كان في الخطة عمل لقاءات مع المطلقين، لكن لأسباب عديدة لم تتم المقابلة، فاكتفيت بما نشر في الصحف.

تعاملها أسوأ معاملة، جابهتها فأنكرت، ذكرتها بوعدها، قال لي الصغير بعد يوم أن هذا كان وبالا عليها، فلقد اشتدت قسوتها لأنها أخبراني بما يحدث، حاولت كثيرا بلا فائدة، ذات يوم عدت إلى المنزل في غير موعدي، ودخلت متسللا كانت تعاملها كأنها عبدان لها، وكان إبني يبكي وهويمد يده الصغيرة ليلقى عليها ضربات العصى القاسية، جن جنوف، كان يمكن أن أقتلها في تلك اللحظة، لكني كظمت غيظي، وملكت نفسي عند الغضب وطلقتها . .

٢— قال: أنا رجل صريح جدا؛ وطبيعة عملي تجعلني أختلط بكثير من السيدات، وكنت أنقل لزوجتي بأمانة صورة عن طبيعة عملي، أحب المرح جدا، ولم أفكر تفكير بإمرأة أخرى غير زوجتي ولكن كنت كل يوم أخضع لاستجواب دقيق كلما عدت إلى المنزل. . أين كنت؟ . . من قابلت؟ . . اتصلت بك في العمل وكان التلفون مشغولا. . مع من كنت تتحدث؟ صارت العودة إلى المنزل كابوسا يشد على عنقي، غولا يخيفني، حاولت كثيرا معها وأفهمتها أنني أحبها ولكن ذهبت محاولاتى عبثا. أصبحت حياتنا وساوس وشكوكا لا تطاق، كنت مدفوعا إلى الإقدام على هذه الخطوة (الطلاق) وإلا سأجن!!

٣— يقول: لماذا كان يجب أن أبقيها زوجة لي؟ أذا أردت طعاما فإن الخادمة تعده، يذهب الأولاد إلى المدرسة فتجهزهم الخادمة. أبحث عن ملابسي فلا أجدها، فتقول لي زوجتي إسأل الخادمة. إذا سافرت فإن كل شيء في المنزل يضيع، ويجب أن أحضر خادمة بديلة قبل أسبوع من سفر الأولى لكي تعرفها بواجباتها وتدلها على مكان كل شيء، لأن زوجتي لم تكن تعرف شيئا من أمور بيتها أو من شؤون أولادها، كل ما تعرفه من الحياة هو التسوق وإنفاق المال بحساب أو بدون حساب وزيارة أهلها وصديقاتها. أصبحت الخادمة هي الأساس في البيت وأنا أريد زوجة لم يكن أمامي حل سوى الطلاق!!.

٤— طلقت زوجتي الأجنبية بعد اسحالة الحياة معها. فقد تزوجتها أثناء دراستي في بلدها. . ثم أحضرتها للعيش معي وفعلا سارت الحياة الزوجية بصورة جيدة والتحقت هي بوظيفة حكومية بناء على طلبها لسد أوقات الفراغ.

ولكن بعد سنتين دبت الخلافات بيننا لإصرارها على مغادرتي البلاد معها ولم أفلح في إقناعها ولوجود طفل بيننا قدمت استقالتي من العمل وغادرت معها لموطنها. ولكني لم أستطع التأقلم في مجتمعها فتم الطلاق وعدت لبلادي أعزبا. !!

٥— وآخر يقول: تزوجت بالطريقة التقليدية. . هي أكبر مني سنا وحاصلة على شهادات عليا، بينما أنا اكتفيت بالثانوية العامة فقط، فكان الفارق العلمي هو السبب الرئيسي في

الطلاق، حاول الأهل التدخل مرات عديدة، ولكن للأسف كانت الخلافات تزداد وتتشعب حتى وصل بها الحال في لحظات المواجهة بأنها كانت تعايرني بالشهادات العليا والوظيفة التي وصلت لها . . وراتبها الذي يعادل أضعاف راتبي وعلى الرغم من انجاب ثلاثة أبناء فقد أصرت على أن تضع معيار حياتنا الزوجية بين شهاداتها وراتبها حتى وصلنا لمرحلة صعبة بالاستحالة في الاستمرار بوصفنا زوجين تحت سقف واحد . . لهذا كان الطلاق هو الحل النهائي لمشاكلنا . .

٦ — أما آخر فيقول: كان تدخل أهل زوجتي في شؤوننا باستمرار وذلك لأنها كانت معظم أوقاتها في منزلهم حتى أن أطفالي لا أراهم إلا في منزل أهلها . فقد تحول منزلنا للنوم فقط . . حاولت لفت نظرها إلى ذلك، والاهتمام ببيتها وطفالها ولكنها كانت ترد على بأني أحاول إبعادها عن أهلها . . حاولت معها لكنها للأسف لم تستمع حتى وصلت بإصرارها وتضحيتها بزوجها وأولادها إلى الطلاق وهكذا كان .

هذه بعض الحالات التي تصور الطلاق، وهناك حالات أخرى كثيرة، ولكنها متشابهة مع ماذكرت، ولا تختلف عنها اختلافا جوهريا . .

ويلاحظ أن ما ذكرته من تلك الحالات يمثل بعضه قاسما مشتركا بين الزوجين في الدافع إلى الطلاق، وهو الغيرة الشديدة التي تفقد المرأة أو الرجل الشعور بالإطمئنان والاستقرار والاحساس الدائم بأن شريكه في الحياة ليس مخلصا له، ولا راعيا لحقوقه مما يحمل الطرف المتهم بأن يسعى للطلاق حتى يتخلص من هذه الملاحقة والمتابعة التي تحركها الشكوك والأوهام والظنون ولا يثق بكل ما يقدم له من مواثيق الحب والإخلاص .

كذلك يعدّ تدخل أهل الزوجة قاسما مشتركا — أيضا في حدوث الطلاق — وإن كان تدخل أهل الزوج أوسع وأكثر تأثيرا، لضعف شخصية الزوج من جهة ، ولأن التقاليد الموروثة تعطي الأهل وبخاصة الأم منزلة القوامة والسيطرة وفرض الإرادة، ومحاولة اخضاع الزوجة لرأيها في كل شأن من شؤون حياتها . .

وإذا كان إهمال الزوج لمسؤولياته وواجباته نحو زوجته وأولاده واهتمامه بأصدقائه، أكثر من اهتمامه ببيته، وكان البيت بالنسبة له أشبه بفندق للأكل والنوم دون مراعاة لمشاعر الزوجة وحقوقها وحاجتها لزوجها من العوامل التي تجعل المرأة تضيق بحياتها الزوجية لأنها لم تحقق لها السكن النفسي والمادي، ولذلك تفضل الفرقة على هذه الحياة الجافة التي لا تعرف معنى للعواطف الإنسانية والمشاعر الزوجية كذلك فإن المرأة قد تهمل القيام بما يجب عليها نحو زوجها

وأولادها وتهتم بتوافه الأمـور التي قد ترهق الزوج ماديا، وفي هـذه الحالة يلجأ الزوج إذا ما يئس من إصلاح زوجته إلى أن يطلق، وإن لم يكن كارها لأم أولاده.

على أنه من المسلم أن إهمال الرجل لمسـؤولياته أكثر وأوضح تأثيرا في الفـرقة بين الزوجين من إهمال المرأة.

وإذا كانت الغيرة، وتدخل الأهل، وعدم قيام كل من الزوجين أو أحدهما بما يجب عليه قبل الآخر من أسبـاب الطلاق فإن من أهم هذه الأسبـاب سوء عشرة الرجل لـزوجته. إما بـالإساءة إليها بالقول أو بالفعل أو بالإهمال.. وعدم إشعارها بمنزلتها بوصفها زوجه، وإما بالانحراف وفساد الأخلاق عن طريق تعاطي المسكرات أو العلاقة الآثمة بإمرأة أخرى..

إن المرأة إذا شعرت أن زوجها لا يعيرها اهتماما لذاتها أو إذا عرفت أنه على علاقة محرمة بإمرأة سواهـا فإنها لن تقبل هذا بحـال من الأحوال، ويسيطـر عليها ضيق نفسي يزداد يـوما بعـد يوم ويؤدي لا محالة إلى وقوع الطلاق..

ويرى أحـد قضاة الذين تعرض عليهم مشـاكل الحياة الزوجيـة أن مسؤولية الطلاق مـوزعة فتـاره تكـون على الـرجل، وتـارة تكـون على المرأة، ومـرة على أهل الـرجـل، ومـرة على أهل المرأة..

وقد يـرجع الأمر إلى عـدم رؤية الشـاب للفتاة، فيفـاجأ أنها ليست على ماكـان يتصوره من الجمال والشخصية[1].

ثم يقول: وإذا وفق الـرجل في العثور على زوجة منـاسبة تجده يحافظ على ارتباطه بأصـدقائه (الربع) فيقضي الليل في السهر معهم ويترك زوجته تتقلب في فـراشها تعاني من همومها.. وإذا جـاء بعـد منتصف الليل رمى بنفسـه على الفـراش بجـانبها أو في غـرفـة مجاورة كأنـه ليس لـه زوجة..

ويقول: وقد يأتيهـا كالثور الهائج من شدة السكر فيقلب المنـزل رأسا على عقب، وإذا كان هناك أطفال قـاموا مذعورين يشاهـدون المعركة التي تنشب بين أمهم وأبيهم كلما جن الليل.. هذه الحالة تؤدي إلى الطلاق إذا نفد صبر المرأة..

ويقول أيضـا: ومن أسباب الطلاق المظاهـر والتنافس فيها وهذه في الـواقع نتيجة التخلف الفكري عنـد بعض الناس، فـالمرأة تريـد أن يكون لها من الـذهب ما لا يكـون عند غيرهـا من نظائرهـا ولا تراعي حالـة زوجها المادية، والـزوج قد يجاريها في ذلك ولكن عندمـا لا يجد سبيلا

(١) راجع محاضرة الشباب والطلاق في المجتمع القطري، للشيخ عبدالقادر محمد العماري، منشـورة في كتاب «قضايا ثقافية» نادي الجسرة عام ١٩٨٦م— ١٩٨٧م.

لتحقيق ما اعتادت منه الزوجة يدب بينهما الخلاف ويتطور حتى ينتهي إلى الطلاق !! .

وقد أشار القاضي إلى أن الشباب الأقل حظا في التعليم هم الذين يكثر فيهم الطلاق كما تدل على ذلك الاحصائيات، وأن المجتمع القطري لا يعرف من يتدخل للإصلاح بين الزوجين لإزالة الشقاق عملا بقول الله تعالى: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن شاء الله كان عليما خبيرا) . . فلا نرى اليوم الذين يؤيدون الفتنة، وإذا حصل نزاع بين الزوجين انقسم الأهل إلى طرفين متحاربين يزيدون النار اشتعالا، وينتصر كل طرف للجانب الآخر بالحق والباطل. وهذا تحليل لأسباب كثرة الطلاق من خبير بالمشكلات الزوجية، فهي تعرض عليه كل يوم، ولهذا تكون الأسباب التي أومأ إليها معبرة عن حقيقة واقعة لا شك فيها تلتقي مع الحالات التي أوردتها.

**ويمكن بعد العرض السابق إرجاع أسباب الطلاق إلى ثلاثة عوامل أساسية:**

أولا: التقاليد الموروثة بما تمثله من عدم الرؤية قبل عقد الزواج وتدخل الأهل في اختيار الزوج، أو الزوجة، وطغيان شخصية الأم على الزوج وفارق السن الكبير بين الزوجين وزواج البدل وتعلق المرأة الزائد بأهلها، ثم نظرة الرجل إلى الزوجة نظرة غير صحيحة، نظرة لا ترى فيها إلا مربية لأطفاله وراعية لبيته دون مراعاة لمشاعرها إنسانة وزوجة.

ثانيا: الجهل وعدم الفهم السليم لأحكام الشريعة الخاصة ببناء الأسرة، وما فرض الله على كل من الزوجين من حقوق نحو الآخر، وما أمر به عند حدوث نشوز أو أعراض بين الزوجين، وما وضعه من قيود على الطلاق وجعله في أضيق الحدود أو عند الضرورة.

ثالثا: فساد الأخلاق، والسعي وراء الشهوات، وتبديد الأموال في المحرمات، وسوء التربية مع انتشار مظاهر الترف الاقتصادي التي تدفع إلى التسابق في شكليات ترهق الزوج ماديا وتدفعه في النهاية إلى الطلاق . .

## المبحث الثالث
## آثار الطلاق

إن الطلاق لم يكن أبغض الحلال عند الله، ولم يكن الأصل في تشريعه أنه محظور، وأن اللجوء إليه لا يكون إلا عند الضرورة التي تقتضي التفريق بين الزوجين بعد أن باءت كل محاولات الإصلاح بينهما بالبوار، إلا لأن له آثارا خطيرة، وأضرارا بالغة، فإذا كان الطلاق بغير ضرورة وحاجة فإن آثاره تكون أكثر خطورة وأشد ضررا . .

وآثار الطلاق تصيب المرأة والرجل والأولاد، كما تصيب المجتمع بوجه عام . .

إن المرأة بفطرتها تكره كلمة الطلاق، ولا تحب أن تسمعها ولو كانت هي الراغبة في الفراق زوجها، ولهذا كان الطلاق بالنسبة لها أمرا يؤرقها ويدخل على نفسها القلق والاضطراب، هذا إذا كان الطلاق قد وقع لضرورة تبيحه، فإذا كان قد وقع دون ضرورة شرعية فإن آثاره بالنسبة للمرأة تكون أشد ضررا عليها .

ـ فالمجتمع ينظر إليها على أنها مصدر انهيار الأسرة وفشلها، ولهذا يعزف الرجال عن التقدم للزواج منها غالبا، فلا يتاح لها أن تعيش حياة زوجية مرة ثانية، وتبقى النظرات القاسية تلاحقها، مما يدفعها إلى الانحراف أو تقع فريسة للاضطرابات النفسية التي قد ينتهي بها إلى الانهيار العصبي، وقسوة النظرة إلى المرأة المطلقة من المجتمع أهون من قسوة نظرة أهلها إليها، فهم بدلا من أن يخففوا عنها ما حل بها يعاملونها معاملة تزيد من بلائها، فهم أحيانا لا يكفون عن اتهامها بأنها السبب في الطلاق، وهم أيضا ربما لا يحسنون مراعاة مشاعرها لأنهم يحاسبونها حسابا عسيرا على كل تصرف وإن كان لا تحوم حوله شبهة أو ريبة .

إن المرأة التي كانت تحلم بحياة زوجية مستقرة والتي تجنح إلى المثالية في تفكيرها يكون الطلاق أمرا فادح الخطر عليها، إنه يسلبها الثقة بالرجل، والنفور من الحياة، وتؤثر العزلة والوحدة على الإندماج في المجتمع وهي بذلك تتعرض للأمراض النفسية والعضوية معا .

وإذا كانت بعض المطلقات لا تستسلم لمشاعر الضيق والقلق ولا تلقى بالا للنظرة القاسية من المجتمع إليها، وتحاول أن تشغل نفسها بعمل إيجابي يملأ فراغها النفسي، ويعوضها بعض الشيء عن حياتها الزوجية، فإن هذا البعض لا يمثل إلا استثناء من القاعدة العامة بالنسبة للمرأة القطرية المطلقة، ومن هنا يظل الأثر العام للطلاق على هذه المرأة وهو أثر التوجس منها، وإتهامها بفشل الحياة الزوجية وما يترتب على إحساس المرأة بأن المجتمع يكاد يرفضها ولا يسمح لها باستئناف حياة جديدة، يعكس الصورة الواقعية في حياة المجتمع القطري قاتمة متشائمة تظلم المرأة ولا تنصفها .

ـ وأما الزوج فإن الطلاق يسبب له بلا ريب قلقا نفسيا، فالأسرة التي أنفق على تكوينها، وكان يرجو أن يحيا في ظلها في مودة واستقرار، ينفرط عقدها ويتفرق جمعها، ويشعر بأن حياته بعد الطلاق حتى ولو كان هو الذي سعى إليه وأوقعه دون حاجة يخيم عليها الملل والضياع، وإن حاول أن يتغلب على هذا بكثرة لقاءاته مع أصحابه، وقضاء الوقت معهم، أو الانكباب على ما يزاول من عمل عله ينسى، ولكنه ما يكاد يعود إلى بيته حتى يسترجع بخياله أيام حياته

الزوجيـة بحلوهـا ومرها، وقـد تستبد بـه هذه الأيـام وذكرياتها فـلا يفكر في الـزواج بعد ذلك، وتترسب في أعماقه عقدة النفور من المرأة وكراهية الحياة معها.

وهذا الـزوج الذي طلق إن كان له من زوجتـه التي فارقها أولاد تتضاعف مشكلتـه، فهؤلاء الأولاد إن عـاشوا معـه ذكروه بأمهم، وإن عـاشوا مع أمهم لم يسلم من الخوف عليهم والشـوق إليهم، وهو فضـلا عن ذلك إن رغب في الزواج مـرة ثانيـة فربما لا يـرضى به زوجـا إلا من دونه كفاءة، وهـذا يعني أن الطلاق جعل من كان يرغب في تـزويجه من قبل لا يرضى به زوجا خـوفا من أن يفعل مع زوجته الثانية مثل ما فعله مع زوجته الأولى [1].

وبالإضافـة إلى هذا ينتزع الطلاق من الزوجين أو أحدهما أقـدس واجب وأجمل رسالة يتمنى كل زوجين القيام بها، وهي تـربية الأطفـال وإعدادهم للحياة إعـدادً صالحا، فضـلا عن عدم التمتع بعاطفة الأمومة والأبوة [2].

وإذا كان الزوجـان ـ على الرغم من آثار الطلاق عليهما ـ يستطيعان بحكم السن واستئناف حياة زوجيـة جديـدة التخلص من هذه الآثـار فإن الأبنـاء هم الضحية الأولى للطـلاق، وآثاره عليهم قد تلازمهم طول حيـاتهم، فالأبناء الذين يشبون بعيدا عن الأبـوين أو أحدهما يتعرضون لمشكلات[3] متنوعة تحول بينهم وبين النشأة السوية والحياة الطبيعية.

إن علماء النفس والتربيـة يؤكـدون أن نشأة الأبنـاء بعيدا عن الأبـوين أو أحـدهما يؤثـر على معدلات الـذكاء عنـدهم، كما يؤثـر على مستوى التحصيل لـديهم، وإن البناء النفسي والعقلي والعاطفي لا يكون بنـاء سويا للطفل إلا إذا نشأ في رعاية والـديه، فإن حرم هذه الرعـاية نشأته تكون غير سـوية، ويعـاني من الأمـراض المختلفة، سواء مـن الناحيـة النفسية أو الجسـدية أو الاستعـداد لمواجهة مسـؤوليات الحيـاة [4]. ويعلل بعض علماء الاجتماع أن ظـواهـر الإجـرام والعنف وانحلال الأخلاق بل وتـوتر العلاقات بين دول العالم مردها إلى فشـل الزوجين في إقامة أسرة متحابة مترابطة ينشأ فيها الأبناء في رعاية الوالدين وحنانهما..

---

(١) وهو هدف إسـلامي مستمد من قوله (ﷺ): «تناكحوا تكثـروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة» رواه عبـدالرزاق في الجامع عن سعيد بن أبي هلال مرسلا.

خاصة وأننـا مجتمع يعاني من قلة عدد السكـان فحبذا لو قامت الجهات المسـؤولة بتشجيع الأسر ماديا ومعنـويا على الإنجاب والاهتمام بتكثير النسل والحث عليه بإعطاء المرأة العـاملة فترة أمومة طويلـة لحضانة الطفل وصيانتـه من الاهمال والانحراف. راجع التاريخ الاجتماعي المرأة القطرية المعاصرة ص١٨٨ ـ ١٩٠ د. عادل غنيم وآخرون.

(٢) هذه الحالات أوردتها جريدة الشرق في تحقيق لها عدد الخميس ٧ رجب ١٤١٣هـ.

(٣) كان في الخطة عمل لقاءات مع المطلقين، لكن لأسباب عديدة لم تتم المقابلة، فاكتفيت بما نشر في الصحف.

(٤) راجع محاضرة الشباب والطلاق في المجتمع القطري، للشيخ عبدالقادر محمد العماري، منشـورة في كتاب «قضايا ثقافية» نادي الجسرة عام ١٩٨٦م— ١٩٨٧م.

إن فقد حنان الأب أو الأم يجعل الأبناء في حالة من الضياع تؤدي في الغالب إلى إصابة هؤلاء الأبناء بأمراض نفسية تؤثر على شخصيتهم، وتقودهم أحيانا إلى الجنوح الذي يعود عليهم وعلى المجتمع بأضرار وخيمة . .

يقول أحد علماء الاجتماع : إذا كانت العلاقة بين الوالدين والطفل غير سليمة، وإذا كانت الظروف الأسرية غير مواتية لإشباع حاجات الطفل، فإن نمو الجانب الخلقي المعنوي أو المثالي من شخصية الطفل سوف يتعرض للاضطراب ويبدو ذلك بصورة واضحة في حالات جنوح الأحداث . ويقول : أكدت الدراسات التي أجريت على المراهقين— الهاربين والمارقين والمنحرفين والجانحين ومدمني الكحوليات والمخدرات والعصابيين أنهم من أسر مفككة يكثر فيها الشجار والصراع بين أفرادها ويتصف الآباء فيها بالإهمال وعدم الرحمة بالأبناء [1] والغلظة في التأديب .

وتزداد مشكلة الأبناء إذا تزوج أحد الوالدين أو كلاهما، فإنهم يقعون تحت رحمة زوجة الأب أو زوج الأم، وقد أثبتت الوقائع أن الأبناء إذا عاشوا مع إمرأة غير أمه، أو رجل غير أبيهم فإنهم يعاملون معاملة قاسية ترتد على شخصياتهم بالاهتزاز وفقدان الأمن والطمأنينة، بل إن هذه المعاملة قد تدفعهم إلى التشرد وارتكاب جرائم السرقة والمخدرات وغيرها وبذلك يضيعون مع الضائعين من المنحرفين والمجرمين [2] وأحيانا يقوم الزوجان بعد أن يفترقا بأن يشوه كل منهما صورة الآخر أمام الأبناء، ويكون، من أثر ذلك أن يكره هؤلاء الأبناء أمهم أو أباهم، وهذا يزيد من تمزق الأسرة وضياع الصلات المعنوية بين أفرادها، وقد يبلغ الأمر إلى العقوق ومعاملة الوالدين في الكبر معاملة لاتعرف الرحمة أو الإنسانية .

وتلك الآثار التي تصيب المرأة والرجل والأبناء من الطلاق تصيب المجتمع كله، فالإسرة لبنة من لبنات المجتمع أو هي عماد، وأي خلل يطرأ عليها فإنه لا يكون مقصورا في آثاره وأضراره على الأسرة، ولكنه يتجاوزها إلى المجتمع . فهذه المرأة المطلقة التي ينظر إليها الناس حتى أقربهم إليها نظرة تعبر عن الشك تقتلها نفسيا، وقد تسول لها نفسها أن تنتقم من المجتمع بسلوك يعود عليها وعلى سواها بالشرور والمفاسد، وهؤلاء الأبناء الذين ينشأون نشأة غير طبيعية سيكونون في المستقبل مصدر خطر على المجتمع يهدد أمنه واستقراره ونهضته وقوته . ولقد أكدت

---

(١) وحال هذا الزوج ينطبق عليه المثل القائل : (لو فيه خير ما عافه الطير) . .

(٢) راجع بحث الزواج وظاهرة الطلاق للأستاذة/ رجاء إبراهيم، من بحوث المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، منشور في المجلد الأول من الأسرة والطفولة ص ١١٩، ط. ١٩٨٨م.

الإحصائيات التي يقدمها علماء الاجتماع في مختلف دول العالم أن النسبة الغالبة من الأحداث الجانحين أو الكبار من مرتكبي الجرائم يفتقرون إلى الحنان العائلي ويعيشون في تفكك أسري وهذا يشكل خطرا كبيرا على أنفسهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه[1].

والخلاصة: أن المجتمعات التي ينفرط فيها عقد الأسرة معرضة لكثير من المشكلات التي تقف في طريق بنائه وسعادته، على حين أن المجتمعات التي تتمتع فيها الأسرة بالاستقرار والترابط الحميم بين أفرادها تكون هي المجتمعات التي يشيع فيها الأمن والنام والعطاء والبناء، وهكذا يكون الطلاق في أحسن أحواله، له آثاره الضارة، ونتائجه السيئة، ولكن الإسلام يبيحه في حالة تحمل أخف الضررين، وتحقيقا لمعنى قوله عزوجل: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته).

## المبحث الرابع
## وسائل العلاج

بعد الحديث عن ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري، وأسباب شيوعها، وأهم آثارها، ما الوسائل التي يمكن أن تقلل من تلك الآثار، وترشد الناس إلى ما يجب أن يسود بينهم من مفاهيم حتى لا يصبح الطلاق ظاهرة متفشية مزعجة تهدد المجتمع بمشكلات متنوعة تمتص طاقاته، وقدراته، وتؤثر في مسيرته ومستقبله؟.

لقد اتضح من الكلام في أسباب الطلاق أن هذه الأسباب على تعددها واختلافها لا تخرج عن مصدر واحد، وهو الأمية الدينية وسيطرة التقاليد والمواريث البيئية، فتلك الأمية هي التي تفرض أن يقوم الزواج على غير أساس شرعي سليم، فالرجل لايرى من يرغب في الزواج بها، وكذلك المرأة لايسمح لها بأخذ رأيها فيمن تقترن به، وهذا يعني أن العلاقة الزوجية لم تنشأ وفق رغبة مشتركة من الزوجين، وأن هناك من فرض إرادته على الرجل أو المرأة أو كليهما. وما دامت العلاقة الزوجية قد قامت دون رغبة مشتركة فإن هذه العلاقة لاتصمد أمام أول عاصفة تهب على الحياة الزوجية، وتقتلع جذورها، وتنهي وجودها، فيكون الطلاق والفراق..

إن الإسلام قد بين للناس الضوابط التي يجب مراعاتها في عقد الزواج، وأهم هذه الضوابط الاختيار الصحيح بالنسبة للرجل والمرأة، ثم الرغبة المشتركة بينهما، ويعبر عنها بعدم الإكراه،

(١) راجع بحث الزواج وظاهرة الطلاق، مرجع سابق.

وأن يعرف كل طرف رأيه فيمن سيكون شريك حياته، وقد روى في ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لاتنكح الثيب حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن وإذنها الصموت» [١]. وروى أن بكرا جاءت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، «ولم تذكر أنها كارهة لهذا الزواج، فجعل الرسول الأمر إليها إن شاءت أقرت الزواج، وإن شاءت أبطلته، فقالت: قد أجزت ما فعل أبي، ولكن أردت أن يعلم النساء أن ليس الآباء من الأمر شيء» [٢]. ويقول الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) في حق المرأة في الموافقة والرضا: إن البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من ملكها إلا برضاها، ولا يجبرها على إخراج السير منه فكيف يجوز له أن يتصرف فيها هي دون رضاها، ومعلوم أن إخراج مالها بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لاتريد [٣].

وحتى يكون هذا الرضا جديا وقائما على حقيقة، ومعبرا عن موافقة صادقة، ومنبعثا من شعور صحيح ندب الشارع إلى الرؤية ورغب فيها قبل العقد، فعن المغيرة ابن شعبة أنه خطب امرأة فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أنظرت إليها، قال: لا. قال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما [٤]» أي: أجدر أن يدوم الوفاق بينكما. وعن جابر بن عبدالله، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعو إلى نكاحها فليفعل: «قال جابر: فخطبت إمرأة من بني سلم، فكنت أختبيء لها حتى رأيت منها بعض مادعاني إليها» [٥].

وليس حكم الرؤية مقصورا على الرجل. أي أن له وحده أن ينظر إلى من يرغب في زواجها، بل هو حق للمرأة أيضا، فإنه يعجبها ممن تقدم إلى خطبتها مثل ما يعجبه منها [٦].

وتأكيدا على حرص الإسلام على أن تقوم العلاقة الزوجية على أساس راسخ من الرغبة الصادقة كانت الخطبة مرحلة تمهيدية تسبق عقد الزواج بحيث إذا آنس كل من الرجل والمرأة في

(١) راجع أطفال بلا أسر، ترجمة محمد بدران. طبعة مصر.

(٢) راجع: الأسرة والطفولة، المرجع السابق، بحث الدكتور يحيى فايز، عن: الطفل الكويتي في الإطار الأسري، ص ٢٧٦.

(٣) راجع قضايا ثقافية، نادي الجسرة الثقافي عام ٨٦/ ١٩٨٧م ص ١٨، والمرجع السابق، ص ٢٧٩

(٤) راجع بحث الزواج وظاهرة الطلاق، مرجع سابق.

(٥) رواه الترمذي، في باب «ماجاء في استئمار البكر والثيب» حديث رقم ١١٠٧ ج ٣، قال عنه أبو عيسى حديث حسن صحيح.

(٦) رواه النسائي، في باب ٣٦ «البكر يزوجها أبوها وهي كارهة» ج٦ عناية وترقيم عبد الفتاح أبو غده، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

هذه المرحلة من نفسه الإطمئنان إلى رفيق عمره قام عقد الزواج على دعامة متينة ترجى معها العشرة الطيبة الدائمة . .

إن تجاوز الاطمئنان إلى توافر الرغبة بين الرجل والمرأة في الزواج من وراء كثير من حالات الطلاق، فالنفس الإنسانية إذا لم تألف العيش مع سواها فإنها تضيق به، وتنفر منه وتحاول أن تبتعد عنه . وهذا التجاوز فيه مخالفة شرعية، وهو لون من ألوان الخضوع للتقاليد والعادات أكثر منه التزاما بما فرض الله ومراعاة لحرماته . .

وإذا كان عدم تحقق الرغبة المشتركة بين الرجل والمرأة في الزواج يترتب عليه كثرة الطلاق، ويعبر عن بعض صور الأمية الدينية، وهيمنة التقاليد الموروثة فإن تخلف الوعى بمسؤوليات الحياة الزوجية وأنها حياة قوامها السكن النفسي والمادي الذي عبرت عنه بعض الآيات والأحاديث ، هو أيضا صورة من صور الأمية الدينية . فالرجل الذي لا يدرك أن حياته بعد الزواج يجب أت تختلف عن حياته قبله، والذي يظل متمسكا بعاداته في علاقاته الاجتماعية، دون أن يرعى حق زوجته في علاقته بها وإحسانه إليها، والذي لا يدرك مفهوم القوامة على وجهها الصحيح، وأنها مسؤولية تفرض عليه أن يعطي لبيته وأولاده حظا معقولا من وقته، فلا يكفي أن يغدق عليهم من ماله، وإنما الأولى أن يغدق عليهم من عواطفه واهتمامه . .

والذي لاشك فيه أن هناك من النساء من تهمل واجبها كزوجة وأم، وتوجه كل عنايتها إلى زينتها وقضاء وقتها في ثرثرة فارغة، أو يظل حنينها إلى بيت أبيها أقوى من حرصها على البقاء في بيت زوجها، وهذا السلوك من بعض النساء مظهر من مظاهر الأمية الدينية لأنه يعكس الجهل بحقوق الزوج وواجب الزوجة، وأن المرأة التي تخرج من بيت أبيها إلى بيت زوجها لا ينبغي لها أن تذهب إلى بيت أبيها إلا زائرة تحافظ على صلة الرحم، والإحسان إلى الوالدين، أما أن تصبح وتمسي في بيت أبيها وتهمل بيت زوجها فإنها لا تكون زوجة راعية لهذا البيت ومسؤولة عنه، وهي بهذا التصرف تدفع الزوج إلى التخلص منها، كما أن سلوك الزوج في إهماله لرعاية بيته وأولاده يدفع المرأة إلى الطلاق من الرجل .

والرجل الذي يضيف إلى عدم البقاء في البيت إلا لماما، أو لا يأوى إليه إلا للأكل والنوم قسوة في المعاملة لزوجته، وإهانتها باللسان واليد، فهو يسبها لأتفه الأسباب أو لأنه يقع تحت

تأثير أم الخبائث ونحوها، هذا الزوج لا تستطيع إمرأة أن تصبر على الحياة معه، وقد تحاول الإصلاح، ولكنها في الغالب لا تنجح، فيكون الفراق هو باب النجاة من هذا العذاب.

ومن طغيان التقاليد التي تعبر عنه الأمية الدينية والجهل بمقاصد التعاليم الإسلامية أن أهل الزوج وبخاصة والدته لا يريدون رفع الوصاية عن ابنهم الذي أصبح رجلا واقترن ورزق منها بأبناء، إنه في نظرهم مازال طفلا لا يقضي أمر يتعلق بزوجه وحياته دون أن يكون للوالدة أو بعض الأخوات والأقارب رأي ونفوذ، فهم بهذا يشعرون الزوجة بأنها لم تزوجت رجلا لا يستطيع أن يرعاها ويحميها وأن عليها أن تسمع لقولهم، وتخضع لرأيهم، وهي إزاء ذلك تضيق بحياتها مع زوجها، وتفضل عليها الطلاق..

وعلاج هذه الأمية الدينية، والجهل بمقاصد التشريع الإسلامي التي تعبر عنها تلك المظاهر المختلفة من سلطان للتقاليد في الزواج ومن إهمال لمسؤوليات الحياة الزوجية ومن فساد في تصرف الرجل مع زوجته وإساءته إليها، وكذلك من إلغاء شخصية الزوج من قبل الأهل، وفرض إرادتهم على الزوجة. هذا العلاج ليس أمرا هينا، ويحتاج إلى تعاون عدة جهات حتى يمكن أن يحقق رسالته في إشاعة المفاهيم الصحيحة، وزحزحة المفاهيم الفاسدة والعادات التي لا يقرها الشرع. إن هذا العلاج مهمة أجهزة الإعلام على اختلافها، ورجال التربية في كل مراحل التعليم، ولعلماء الدين الدور الأكبر في نشر الوعي الإسلامي الصحيح فيما يتعلق ببناء الأسرة، وضرورات الطلاق، وكذلك في بيان الأضرار التي تنشأ عن تفرق الزوجين، وتعرض الأبناء لحياة القلق أو الضياع بسبب بعد أحد الأبوين، أو كليهما، ويشارك علماء الدين في توضيح أبعاد مأساة هؤلاء الأبناء علماء التربية والنفس والاجتماع، وعلاقة هذه المأساة بالمجتمع ومدى خطورتها عليه.

إن هناك قضايا ومشكلات لا يجدي فيها سن تشريع للحد من تفاقمها بقدر ما يجدي في علاجها والتغلب على أضرارها التوجيه والإرشاد بأسلوب علمي يخاطب العقل والوجدان. وتعد قضية الطلاق في المجتمع القطري من هذا النوع من القضايا التي لاتعالج بسن التشريعات والقوانين وإنما تعالج بجهد مكثف متواصل يزلزل المفاهيم الخاطئة والتقاليد غير الصحيحة، ويقدم للناس التصور الصحيح الذي جاء به الدين وحض على التمسك به، وعدم التفريط فيه، والأمر كما أسلفت ليس هينًا ولن يعالج بين يوم وليلة ولكن البداية الجادة ستصل في النهاية

إلى الغاية المنشودة، فلا تصبح ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري ظاهرة مزعجة تدمر الأسرة، وتعوق تقدم الأمة، وإنما تظل في نطاق الضرورة الشرعية، والتي تبيح الفرقة عند استحالة الحياة الزوجية واستنفاد كل وسائل الإصلاح والوفاق، وفي هذه الحالة يكون الطلاق أخف الضررين ولا يمثل في المجتمع كابوسا مخيفا أو شرا مستطيرا. .

**الخاتمة والتوصيات**

وبعد : فقد حاولت في تلك المباحث الأربعة دراسة ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري وقد انتهيت فيها إلى أن المشكلة خطيرة، وأنها متعددة الأسباب، ولكنها كلها تكمن في الأمية الدينية والجهل بمقاصد الشريعة وطغيان التقاليد والعادات الموروثة، ووسائل العلاج تلتقي كلها عند الوعي الصحيح لتعاليم الإسلام، ويحتاج الأمر إلى تعاون علماء الدين مع علماء الاجتماع والتربية والدراسات النفسية على توضيح الأخطار التي تحدق بالمجتمع من جراء الرضوخ للعادات والتقاليد وعدم التطبيق السليم لتعاليم الدين والاستعانة في ذلك بكل أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة فضلا عن إقامة الندوات والمحاضرات وإشراك النساء فيها، ولعل في كل هذا ما يصل إلى تحجيم تلك الظاهرة، وقصرها على الحالات المشروعة.

**وبعد هذه الكلمة المجملة عن التوصيات أرى تحقيقا لما تضمنه مراعاة ما يلي :**

١ — أن تهتم وسائل الإعلام وبخاصة المرئية منها بتخصيص برامج يومية أو اسبوعية على الأقل توجه إلى الأسرة القطرية، وتوضح الأسس التي تقوم عليها الأسرة في الإسلام وتبين الآثار السلبية للطلاق وأثر الترابط الأسري على حياة الأبناء، وسلامة المجتمع على أن يراعي الوقت الملائم لإذاعة هذه البرامج حتى يتمكن من مشاهدتها كل أفراد الأسرة غالبا، ولا شك في أن التوعية بالقيم الإسلامية التي تبنى عليها الأسرة ، وبيان الآثار الضارة للفرقة بين الزوجين وذلك في أسلوب علمي يتوخى عرض الحقائق عرضا منطقيا يخاطب العقل قبل الشعور، والفكر قبل الوجدان يحد من ظاهرة الطلاق فلا يقدم عليه الرجل إلا عند الضرورة التي لا مناص معها من أن يطلق زوجته.

٢ — تنشأ مكاتب في أحياء المدن والقرى تكون مختصه بشؤون الأسرة. ويشرف عليها علماء الدين والاجتماع والتربية، وتكون مهمتها التدخل لحل المشكلات الزوجية، والحيلولة دون

وصول الأمر إلى القاضي للطلاق، كما يدخل في مهمتها مقاومة التقاليد التي تؤثر في سلامة بناء الأسرة.

إن هذه المكاتب تقوم بمهمة جليلة لأنها تسعى لإخماد النار وهي في بوادرها الأولى قبل أن يستحفل خطرها، ويتطاير شررها، ويصبح من الصعب إطفاؤها إن كثيرا من مشكلات الحياة الزوجية يمكن أن تعالج إذا وجدت من يتدخل بين الزوجين في الوقت المناسب، ولذا ينبغي أن يكون لدى مكتب كل حي (فريق) حصر لعدد الأسر ودراسة عنها ومتابعة لكل ما يجد على حياتها عن طريق الزائرات والباحثات الاجتماعيات المؤهلات حتى يمكن اتخاذ الخطوة العملية في علاج ما قد يطرأ على حياة الأسرة من مشكلات تهدد أمنها واستقرارها.

٣ــ تكوين جمعيات الإصلاح الديني والإجتماعي، يكون للقضاء والوزارات المعنية بالأسرة دور الإشراف عليها، ونشر الوعي العام عن طريقها مع ملاحظة أن يكون للنساء وجود فاعل في هذه الجمعيات. وإذا كانت هذه الجمعيات تلتقي مع المكاتب الخاصة بشؤون الأسرة في الهدف والغاية لكنها تختلف عنها في أنها عمل تطوعي لا يتقيد بلوائح رسمية، ويعمل في صمت وفي أي وقت، ومن ثم يكون لها دورها المتميز في إصلاح ذات البين بين الزوجين.

٤ــ ضرورة إدخال بعض البرامج النظرية والعملية في مناهج السنوات النهائية في المرحلتين الثانوية والجامعية تكون مختصه بالأسرة على نحو ينمي المفاهيم الصحيحة ويعد الأبناء لحياة زوجية سعيدة ولا مراء في أن الدراسة العلمية في المرحلتين الثانوية والجامعية حول الأسرة ومشكلاتها تهيىء الشباب لبداية صحيحة لحياة زوجية مستقرة، لأن آفة الآفات في العلاقة الزوجية هى الجهل بما يجب على كل طرف نحو الآخر وعدم التروي في اتخاذ القرار الخطير، مما يساعد على كثرة الطلاق، وانهيار الأسرة.

٥ــ اتخاذ قرار يضمن للزوجة بقاءها في منزل زوجها وذلك بوضع أسس لطلاقها وعدم الإسراع فيه قبل المحاكم، خصوصا إذا كانت المرأة قد ساهمت مساهمة فعالة في بناء هذا البيت. إن هناك خطأ في تطبيق أحكام الطلاق يكاد يكون عاما في المجتمعات الإسلامي، وهو عدم

التفـريق بين الطـلاق الـرجعي والبـــائن، وأن المرأة ينبغي لا تخرج من بيت زوجهـا في فترة العدة، فـالعلاقة الزوجيـة في هذا الطلاق لاتنقطع بصورة تجعل المرأة محرمـة على الزواج إلا بعد انقضـاء العدة ولكن النـاس لا يأخذون بهذا ممـا يكون سببـا في الفرقـة بين الزوجين في الوقت الـذي يمكن أن تعود المياه إلى مجاريها بينهما وإذا أدرك الرجل أنـه إذا طلق المرأة وكان لها دور في بناء البيت أنها لن تترك له هذا البيت الذي ساهمت في اعداده فإنه يفكر كثيرا قبل أن يلفظ بكلمة الطلاق.

٦ــ قيام جمعيات نسائية على مستوى الدولة في ظل رعاية إحدى الوزارات المعنية بالأمر للعمل على نشر الوعي الأسري بين أفراد الأسرة القطرية.

إن هذه الجمعيـات في مجتمعات لها تقـاليدهـا المحافظـة يتيح الفرصـة للوقـوف على مشكلات الأسرة، والمرأة أخبر من الرجل في الطب لهذه المشكلات، وبذلك تسهم الجمعيات النسائية مساهمة طيبة في نشر الـوعي الأسري وحماية العلاقة الزوجية من التمـزق، وإنقاذ الأبناء من حيـاة الحرمـان والإضطراب النفسي والتفكـك الأسري الذي يـؤدي بهم إلى التشرد والجنـوح والعدوان.

٧ــ تقديم النـدوات والمحاضرات واللقـاءات عن طريق أجهـزة الإعلام المختلفـة يشترك فيها علماء الـدين والتربيـــة والفضـاء والاجتماع وعلم النفس والشرطـة، وتهتم هـــذه النـدوات والمحاضرات بتوضيح مآسي الطلاق، ومحاسن توثيق الروابط بين أفراد الأسرة، وخط تفكك الأسرة على المجتمع.

وحاصل القول إن هـذه الخطوات أو المقترحات تتضافر كلهـا على تحقيق تلك التوصيات، وأن البداية العملية قد تكشف عن بعض الثغرات أو ترشد إلى وسائل جديدة تكون أكثر فاعلية في حسم الداء وكفالة الشفاء.

# ثبت بالمراجع حسب
# وردها في هامش البحث


١ـ التقريح الإحصائي لسنة ١٤١١هـ ـ ١٤١٣هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة القطر.

٢ـ جريدة شباب اليوم القطرية، عدد ٤ جمادي الأولى سنة ١٤١٢هـ.

٣ـ جريدة الشرق القطرية عدد الخميس٧رجب سنة ١٤١٣هـ.

٤ـ الإلقتاء الحضاري وأثره في تغيير البناء الاجتماعي للأسرة في قطر، جهينة عيسى، رسالة ماجستير، سنة ١٩٧٥، مكتبة جامعة قطر قسم الرسائل الجامعية رقم ٢٤٠٥٣٦٢, ٣٠١/ ن ج. هـ. أ

٥ـ مبادىء علم الاجتماع، د. محمد الجوهري آخرون، طبعة القاهرة.

٦ـ الأسرة بين علم الاجتماع والأنثربولوجيا، د. محمد الجوهري، د. عليا شكري، طبعة القاهرة.

٧ـ مسند الإمام أحمد، الجزء السادس، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت.

٨ـ سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، د. ماهر محمود عمر، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، ج.م.ع. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩ـ صحيح البخاري، الجزء السابع طبعة عالم الكتب، بيروت.

١٠ـ صحيح مسلم، المجلد الخامس، الجزء الثاني، موسوعة الكتب الستة، طبعة استانبول.

١١ـ التاريخ الاجتماعي للمرأة القطرية المعاصرة، د. عادل غنيم آخرون، طبع بالمطابع الأهلية، الناشر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٢ـ النظام الأساسي المؤقت المعدل للحكم في دولة قطر، الباب الثاني، المادة السابعة، الصادر في ١٩/ ٤/ ١٩٧٢م.

١٣ـ التحضر في المجتمع القطري، د. محمد غنيم، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ج.م.ع.

١٤ـ ك: قضايا ثقافية، محاضرة الشباب والطلاق في المجتمع القطري للشيخ عبدالقادر محمد العماري، طبع في قطر، نادي الجسرة، سنة ١٩٨٦م ـ ١٩٨٧م.

١٥ـ الزواج وظاهرة الطلاق، رجاء إبراهيم، منشور في المجلد الأول من الأسرة والطفولة، ط ١

سنة ١٩٨٨م.
١٦ـ أطفال بلا أسر، ترجمة محمد بدران، طبة القاهرة.
١٧ـ الأسرة والطفولة، بحث الطفل الكويتي في الإطار الأسري، د. يحيى فايز، المجلد الأول، سنة ١٩٨٨م.
١٨ـ سنن الترمذي، الجزء الثالث، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، مطبعة الحلبي، القاهرة.
١٩ـ سنن النسائي، الجزء الخامس، عناية وترقيم عبدالفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
٢٠ـ زاد المعاد في هدى خير العباد، الجزء الرابع، ط. ١ القاهرة.
٢١ـ سنن ابن ماجة. الجزء الأول، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م
٢٢ـ سنن أبو داود، الجزء الثاني، موسوعة الكتب الستة، طبعة استانبول.
٢٣ـ فقه السنة للشيخ سيد سابق، المجلد الثاني، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.